ديوان الأمير وجيه الدولة الحمداني

أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة المتوفى سنة ٤٢٨ هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور محسن غياض

القسم الاول (الدراسة)

(١) أسرة الشاعر (الحمدانيون)

(٢) سيرته

(٣) شعره

آ ـ ديوانه

ب ـ ضياع شعره

ج ـ اغراضه وخصائصه .

الحمدانيون :

شهد القرن الهجري الرابع تفكك الدولة الاسلامية ، وكان ضعف الخلافة ببغداد وغلبة المماليك والخدم على العاصمة مدعاة لكثرة ظهور الطامعين والمغامرين وغلبة الأقوياء منهم على ماتحت أيديهم من الاقاليم ، ففي شرقي الدولة استقل

السامانيون والصفارون وفي اقاليمها الغربية قامت الدولتان الأخشيدية والفاطمية . وفي أواخر القرن الثالث أراد العرب التغلبيون بقيادة حمدان بن حمدون جد الاسرة الحمدانية وحلفاؤهم من الخوارج بقيادة هارون الشاري ، بسط نفوذهم على الجزيرة الفراتية ولكن المعتضد بالله قضى على ذلك الحلف وأسر حمدان بن حمدون ثم أطلقه وعفا عنه بعد أن استطاع ابنه الحسين بن حمدان أن يأسر هارون الشاري حليف أبيه بالأمس(١) ، فأصبح بذلك موضع ثقة الخليفة ومن المقربين اليه . وقد كافأه بازالة الأتاوة عن بني تغلب ، واثبت معه منهم خمسمائة فارس . وقد مكّن ذلك كله لزعامة الحمدانيين على قومهم لا ينافسهم فيها أحد ولا يخالف عن أمرهم أحد .(٢) وفي سنة ٢٩٢هـ ولى الخليفة المكتفي أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان أخا الحسين ، على الموصل وأعمالها(٣) . وفي سنة ٣٠٣هـ أعلن الحسين بن حمدان الثورة على المقتدر . ولكن الخليفة قضى على تلك الثورة وأسر الحسين وأخاه أبا الهيجاء وبقية الأسرة الحمدانية ، فمكثوا في السجن حتى وفاة الحسين سنة ٣٠٦هـ(٤)

وقد أحس العباسيون بحاجتهم الى الحمدانيين في السيطرة على تغلب وغيرها من القبائل العربية في الجزيرة . وفي سنة ٣٣٠ هـ جعل المتقي لله الحسن بن أبي الهيجاء أميراً للأمراء ولقبه بناصر الدولة ولقب أخاه عليا بسيف الدولة وولاه حلباً(٥)

واستقر ناصر الدولة ببغداد وحاول تنظيم الأحوال الداخلية ومطاردة المفسدين والعابثين ، ولكنه اخفق في عمله الجديد ذاك ، وهرب الى الموصل سنة ٣٣١هـ ثم

---

(١) الكامل لابن الاثير ٤٧٧/٧ (طبعة بيروت) .

(٢) الدولة الحمدانية ، فيصل السامر ٨١/١ .

(٣) وفيات الأعيان ٣٨٧/١ .

(٤) الكامل لابن الأثير ٩٢/٨ .

(٥) مسكويه ٢٨/٢ .

خاض حرباً عنيفة مع معز الدولة البويهي ، فهزم في تلك الحرب وصالح البويهيين قانعاً بحكم الجزيرة تحت سيادتهم ، وفي سنة ٣٥٣هـ عزل البويهيون ناصر الدولة وولوا مكانه ابنه أبا تغلب(١) ، ثم ساءت حال ناصر الدولة واختلت قواه العقلية بعد وفاة أخيه سيف الدولة فاعتقله أبنه أبو تغلب سنة ٣٥٦هـ وظل معتقلاً حتى وفاته سنة ٣٥٨هـ(٢) . ثم اشتد الصراع بين أبنائه وانقسموا فريقين ، فريق أبي تغلب المستأثر بالحكم والسلطة وفيه أخوه أبو البركات وأخته جميلة ، وفريق أبي المظفر وفيه من أخوته أبو الفوارس والحسين وابراهيم . ثم استطاع أبو تغلب أن يأسر أخاه حمدان ويقتله ، ولكن الأمر لم يستتب له فقدمتله أحد الاعراب وهو بالرملة سنة ٣٦٩ (٣) .

وفي زمن بهاء الدولة البويهي تولى الموصل الأخوان الحمدانيان أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ، الا أن أبن مروان الكردي استطاع هزمهما وأسر الحسين ثم اطلقه بشفاعة الفاطميين فقصدهم الى مصر وتولى لهم حلبا وأقام فيها حتى وفاته سنة ٣٨٠ (٤) . أما أخوه أبو طاهر فقد قتلته بنو عقيل ، وهكذا انتهى حكم الحمدانيين على الموصل والجزيرة (وكان عهدهم من بدايته حتى منتهاه سلسلة من الصراع مع عدة أطراف : مع العباسيين والبويهيين والأكراد والقبائل الضاربة في الجزيرة) (٥) .

---

(١) مسكويه ٢/٢٠٦ .
(٢) وفيات الأعيان ١/٢٨٧ .
(٣) مسكويه ٢/٤٠١ .
(٤) الكامل لابن الأثير ٩/٧٢ (مصر) .
(٥) الدولة الحمدانية للسامر ١/٢٩٠ .

ذو القرنين ابن ناصر الدولة : (١)

ونحن وقد استعرضنا تاريخ الاسرة الحمدانية ، لا نجد لشاعرنا ذكراً بين الامراء المتنازعين من أسرته ولا نرى له مشاركة في تلك الاحداث والخطوب التي مرت بأهله منتصرين آونة ومنهزمين أخرى .

وقد اتفق الذين ترجموا له في اسمه وكنيته ولقبه فهو عندهم (ذو القرنين أبو المطاع وجيه الدولة الحمداني) ولكنهم اختلفوا في اسم أبيه أهو ناصر الدولة الحسن كما ذهب الى ذلك ابن عساكر وياقوت والذهبي وابن العماد والصفدي والثعالبي (٢) . أم هو أبو المظفر حمدان بن ناصر الدولة ، كما ذهب الى ذلك الشريف الصنعاني وابن القلانسي واليافعي وابن خلكان والزركلي وسامي الدهان ومحسن الامين وزمباور وفيصل السامر في أحد رأييه(٣) .

وهو عندي ابن ناصر الدولة وليس حفيده ، واخو ابي المظفر حمدان وليس ابنه ، ولي على ذلك ادلة لا أشك في قوتها ، وهي ما قاله الشاعر نفسه مقدما لبعض قصائده : -

١- فقد قدم لقصيدته التائية رقم (٢) بقوله : (وهذه قلتها بالأهواز وكتبت

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٤٤ ويتيمة الدهر ١/١٠٦ وتتمتها ١/٣ ودمية القصر ١/٢٢١ وتاريخ ابن عساكر ٤/٢٥٩ وشذرات الذهب ٣/٢٣٨ ومعجم الأدباء٤/٢٩١والنجوم الزاهرة ٥/٢٧ والعبر ٣/١٦٥ وذيل تاريخ دمشق ٧٠ – ٧١ ومرآة الجنان ٣/١ ه ونسمة السحر (مخطوط) ١/٤٣١ والوافي للصفدي (مخطوط) ٨/٥٧ وأعيان الشيعة ٧/٢١٦ ، ٣١/٦٣ والاعلام ٣/٢٨ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٥/٢٥٩ ومعجم الأدباء ٤/٢٠١ والعبر ٣/١٦٥ وشذرات الذهب ٣/٢٣٨ والوافي ٨/٥٧ واليتيمة ١/١٠٦ .

(٣) نسمة السحر ١/٤٣١ وذيل تاريخ دمشق ٦٩ ومرآة الجنان ٣/٤١ ووفيات الأعيان ٢/٤٤ والأعلام ٣/٢٨ وشرح ديوان أبي فراس ٣/٤٨١ (شجرة نسب الحمدانيين) وأعيان الشيعة ٣١/٦٤ ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٢٠٢ والدولة الحمدانية للدكتور السامر ١/٤٨ (شجرة النسب) وقد ذكر فيها ان الشاعر ابن ابي المظفر حمدان ثم ناقض ذلك وقال انه ابن ناصر الدولة الحسن ١/٢٧٦ .

بها الى اخي ابي عبد الله الحسين بن ناصر الدولة وهو ببغداد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة) .

٢ ـ وقدم لقصيدته الدالية رقم (٢٥) بقوله : (وكتب الي أخي أبو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة رضي الله عنهما وهو مقيم بديار بكر بيتين قالهما) . ولو كان الشاعر حفيد ناصر الدولة وابن حمدان ، لقال كتب الي عمي أبو عبد الله الحسين وكتبت اليه .

أما ما قاله السيد الأمين من ان (وجيه الدولة هو ابن ناصر الدولة الثاني واسمه حمدان لا ابن ناصر الدولة أخي سيف الدولة بل حفيده ، وجعله ابن عساكر وياقوت ابنه ، وكان الاشتباه حصل من تلقيب كل منهما بناصر الدولة (١) .

فخطأ واضح بشهادة الادلة المتقدمة ولأننا لم نجد مصدراً واحداً يؤكد ما ذهب اليه السيد رحمه الله من تلقيب حمدان بناصر الدولة ، وهو لقب سلطاني منح لأثنين من الامراء الحمدانيين أولهما الحسن بن عبد الله أبو شاعرنا هذا(٢) وثانيهما الحسن بن ابي عبد الله الحسين ، وهو ابن أخي الشاعر وقد تولى حكم دمشق سنة ٤٥٠ هـ ، أي بعد وفاة شاعرنا بثلاثين سنة ثم صار حاكماً لمصر زمن المستنصر الفاطمي (٣) .

وإذن فشاعرنا ابن ناصر الدولة ابرز الحمدانيين الذين حكموا الموصل وتولوا إمرة الامراء ببغداد والذي مات سنة ٣٥٨هـ في سجن ابنه ابي تغلب . وقد اشرنا الى ما كان من نشاط اولاد ناصر الدولة ومشاركتهم لابيهم في أمور حربه وسلمه .

---

(١) أعيان الشيعة ٣١/٦٤ .

(٢) مسكويه ٢/٢٨ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٨٤ . النجوم الزاهرة ٢/٦٧٢ .

ثم في اختلافهم وتنازعهم بعد موته . وليس لشاعرنا ذكر بينهم ولا مشاركة في شيءٌ من أمورهم وتنازعهم . اكان أصغر إخوته فلم يلتفت اليه أحد ولم يشركه أبوه أيام سطوته فيما كان يشرك به اخوته الآخرين . ذلك أمر قد لا نستبعده اذا علمنا كثرة الامراء الحمدانيين من اعمام ناصر الدولة وإخوته وابنائه ، وهي كثرة تغنيه عن اشراك صغار ابنائه في أمور الحكم وشؤون الادارة . ولعل مما يعزز رأينا هذا قصيدته تلك التي قالها في الموصل صبياً يتشوق فيها لبغداد ويتهم أهله باهماله وظلمه فيقول :

لقد سفهت فرسان غنم بن تغلب بعصيان حالي عزّها وضمينه
ظننت بهم ظناً فعاد حقيقة وظن خبير القوم مثل يقينه
نهيتهم ان يجعلوا البغي مركبا فيلقى قليلا لبثهم في متونه
فان صادفوا مني ركونا اليهم فرب مداري وحشة بسكونه (١)

ثم نجد شاعرنا بعد ذلك وقد شبّ عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال فهو يراسل أخاه الحسين من الأهواز سنة ٣٧٥ هـ يتشوق اليه ويشكو له . ومع اننا لا نعلم يقينا ما الذي كان يفعله بالاهواز وما الذي أشخصه اليها ، والمصادر القديمة لا تشير الى شيءٌ من ذلك ولا تذكره ، الا اننا نرجح انه ذهب اليها في أمر كلف به من أمور الدولة ، لعله القضاء على بعض المتمردين أو ردّ بعض الخارجين عن طاعة الخليفة اليها ، وهو فيما يبدو لم يذهب الى الأهواز راضياً عن طيب نفس منه ، ولعله خيّر بين البقاء بالعراق مهملا لا عمل له أو الذهاب الى ما كلف به من الأمر . وشاهدنا على كل هذا الذي ذهبنا اليه شعر الرجل نفسه ، فهو يقول : -

ولولا طلاب العزّ ما كنت راحلا الى بلد الأهواز عن بلد العرب

(١) انظر القصيدة رقم (٧) .

رحلت الى الاقوام والسيف شافعي وناصر دين الله من حسب حسبي
فأنفقت جاهي في الطلاب اليهم وكان الذي انفقت خيراً من الكسب
دعتني اليه في اغترابي ضـــرورة حملت لها نفسي على مركب صعب (١)

واذا كان لم يشارك في أمور اسرته لصغر سنه زمن أبيه ، فان عدم مشـــاركته فيما شجر بين اخوته بعد ذلك ، وقد أصبح رجلا تكلفه الدولة في بعض أمورها ، لمما يثير الاستغراب حقاً . ولا نجد ما نفسر به ذلك ، غير زعمنا انه كان عزوفاً عن هذه المشاركة غير راض عما حدث بين أفراد اسرته من قتال وتطاحن ، فاعتزل ذلك كله ونأى بنفسه عنه . ولعل مما يدل على ذلك ويعززه تلك القصيدة المؤلمـة التي سجل فيها مأساة اسرته وزوال سلطانها لتفكك أواصر المحبة بين أفرادهـــا وتقاتلهم وتنازعهم ، وقد كتبها لابني اخويه بعد ان تركا دمشق مغاضبين وبعد ان كتبا له (لا نحب مخاطبتك ولا مكاتبتك) (٢) ، وهو يخاطب احدهما بقوله :

اخطـر بذكرك عنـد فكـــــــــــرك كيف نحن وكيف كنـــا
ان التقـــاطع والعقــــو ق هما أزالا الملك عنـــا
وأراهمـــا لم يتركـــــا في الارض مؤتلفين منـــا(٣)

وقد وهم الدكتور فيصل السامر فيما زعمه من لجوء ذي القرنين وابراهيم وهبةالله ابناء ناصر الدولة الى البويهيين ضد اخيهم أبي تغلب ، وان ذا القرنين كان رهينة عند معز الدولة البويهي منذ عهد أبيه ناصر الدولة (٤) . وانما كان اللاجئين ابراهيم وهبة الله ولم يكن ذو القرنين معهما ، أما رهينتا معز الدولة فالفضـــل والحسين ولا ثالث لهما من ابناء ناصر الدولة(٥) .

---

(١) القصيدة رقم (٣) .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٢/٢٥٩ .
(٣) القصيدة رقم ٤٠ .
(٤) الدولة الحمدانية ١/٢٧٦ (وحاشيتها) .
(٥) مسكويه ٢/١١٥ ، ٢٩٢ .

وحياة شاعرنا في أولها غامضة أشد الغموض ، لا ندري أين ولد ومتى ، وكيف كانت علاقته بأبيه وأسرته ، وما منزلته بين إخوته ، وليس في شعره اشارة لأحد من أهله ، سوى ما ذكره من تراسله مع أخيه ابي عبد الله الحسين ، ولعله كان أقرب إخوته اليه وأرعاهم له ، ولعلهما كانا من أم واحدة كما كان أبو تغلب واخته جميلة من أم أخرى .

ولشاعرنا شعر يذكر انه قاله في الأهواز والكوفة والموصل ودمشق ، يتشوق فيه إلى أهله ببغداد وإلى اخوانه وأصدقائه في حلب . ولكننا لا نعلم شيئاً عن اقامته في تلك المدن وما كان يفعله فيها . فقد اكتفت المصادر التي ترجمت له بذكر اسمه ونسبه وشيء من شعره ، واجمعت على عمله في خدمة الفاطميين وانه تولى لهم دمشق سنة ٤٠١هـ ثم عزل عنها ووليها ثانية سنة ٤١٢هـ عزل بعدها وولي الاسكندرية سنة ٤١٤هـ ثم عاد بعدها أميراً على دمشق منذ سنة ٤١٥هـ إلى سنة ٤١٩هـ (١) ، ولا تشير هذه المصادر إلى أسباب كثرة توليه وعزله . ولعل شعوره بمكانة اسرته وامجادها السابقة كان يدفعه إلى شيء من التعالي والأنفة من بعض ما يراد عليه من الطاعة والخضوع لمن هو فوقه من رجال الدولة ، ولعل في بيتيه التاليين خير شاهد الى ما ذهبنا اليه في هذا ، فهو يقول :

من كان يرضى بذل في ولايته ... خوف الزوال فاني لست بالراضي

قالوا فتركب أحياناً فقلت لهم ... تحت الصليب ولا في موكب القاضي (٢)

ومصادرنا القديمة لا تحدثنا بشيء عن السنوات التسع التي عاشها ذو القرنين بعد

---

(١) العبر ١٦٥/٣ ومعجم الأدباء ٢٠١/٤ وتاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٥ وشذرات الذهب ٢٣٨/٣ ومرآة الجنان ٥١/٣ ونسمة السحر ٤٣٢/١ .

(٢) القصيدة رقم (٥) من المستدرك على الديوان .

عزله عن امارة دمشق سنة ٤١٩ هـ حتى وفاته سنة ٤٢٨ هـ ، وهي السنة التي تجمع المصادر على وفاة الشاعر خلالها (١) ، وان كانت تختلف في مكان الوفاة . قال الصفدي : (قال محب الدين ابن النجار مات بمصر والظاهر ان الصحيح موته بدمشق) (٢) ولم يذكر الصفدي ما الذي رجح عنده ان وفاة الشاعر كانت بدمشق لا في مصر ، وليس ذلك — امتع الله بك — بالأمر الخطير الذي يطول به جدل الناس وخلافهم ، وسيرة الرجل على ما ترى من الغموض حتى لا تكاد تتبين منها شيئاً ذا غناء .

شعره :

وذو القرنين شاعر من بيت عرف أهله بقول الشعر وتذوقه والطرب له ، كما عرفوا بتشجيع الشعر ورعاية الأدب ، ولم يكونوا من أولئك الأعراب الأميين الجفاة من الخوارج وغيرهم ممن تغلب على بعض بوادي الشام والجزيرة في زمانهم ، كما لم يكونوا من أولئك الأعاجم والمماليك الذين حكموا بعض أقاليم الدولة عن طريق خدمة الخلفاء أو عن طريق ما يتفنون من فنون الحرب وضروب الكيد والتآمر .

كان الحمدانيون عرباً فصحاء اتاحت لهم الحضارة أن يأخذوا بأسباب العلم والتعلم ، ومع ان ناصر الدولة أمير الموصل ووالد شاعرنا لم يكن من الذين اهتموا برعاية الأدب وتشجيع أهله ، الا ان أخاه سيف الدولة ، عم شاعرنا ، قام بذلك باسم الحمدانيين جميعاً خير قيام وأحسنه ، وكانت امارته الصغيرة آخر ما بقي للعنصر العربي من دولته العظيمة التي تناهبتها الأعاجم وكان الحمدانيون حفاظاً أمناء على تراث الأمة وحضارتها وقد حاولوا انقاذ ما يمكن انقاذه من ملك العرب

(١) وفيات الأعيان ٢/٤٤ ومرآة الجنان ٣/٥١ والوافي ٨/٥٧ والعبر ٣/١٦٥ ومعجم الأدباء ٤/٢٠١ والنجوم الزاهرة ٥/٢٧ .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (مخطوط) ٨/٥٩ .

وسيادتهم ، ووقف سيف الدولة وحده بجيشه الصغير وامارته المتواضعة في وجه هجمات البيزنطيين على حدود الامبراطورية الممزقة وانتصر عليهم في مواقع حاسمة خلدها شاعره العظيم أبو الطيّب المتنبي .

وكانت العاصمة يومذاك مشغولة بأخبار هذه الكثرة من الخلفاء والامراء الذين يكيد بعضهم لبعض فيقتله أو يسمل عينيه أو يصادر أمواله وينكل بانصـــــاره .

وفي حلب وجد ادباء العربية أمناً وحماية ورعاية وتشجيعاً وضم بلاط سـيف الدولة نخبة من الخالدين ما اجتمع مثلهم في بلاط ملك سواه ، كان عنده أبو بكر الخوارزمي وابن جني وابن خالويه وابو الحسن الشمشاطي والمتنبي والنامي وابو فراس وأبو الفرج الببغاء والوأواء وابن نباتة والخالديان والناشئ الاصغر وغيرهم(١) .

قال الثعالبي : (لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عـرب العراق وما يجاورها) (٢) ، وعلل ذلك بقرب الشاميين من خطط العرب وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة السنتهم وانهم جمعوا بين فصاحة البدو وحلاوة الحضارة ، ورزقـوا فوق ذلك ملوكـاً من آل حمدان (وهم بقية العرب والمشغوفون بـالأدب والمشهورون بالمجد والكرم والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم الا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل ، انبعثـت قرائحهم فـي الاجـادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمـام واحسـنوا وابدعوا ما شـاؤا .) (٣)

ومعظم الحمدانيين شعراء أفرد لهم الثعالبي في يتيمته باباً وذكر لكل منهـم من شعره ما أعجبه ولطف عنده ، كسيف الدولة وابي فراس وأبي زهير وأبي العشائر

---

(١) يتيمة الدهر ٢٦/١ — ٣١ .
(٢) المصدر السابق ٢٤/١ .
(٣) المصدر السابق ٢٤/١ .

وأبي وائل ، وذكر من أولاد ناصر الدولة ، أبا عبد الله الحسين وحمدان وشاعرنا هذا (١) ، ولعله آخر شعراء البيت الحمداني وأبرزهم وأوفرهم حظا من الشاعرية بعد أبي فراس .

وقد أثنى الذين ترجموا له على أدبه وشاعريته وأظهروا اعجابهم بشعره واستحسانهم له ، قال ابن عساكر : (كان أديباً فاضلاً سائساً مدبراً) (٢) وقال مثل ذلك في صفته ابن القلانسي وابن تغري بردي(٣) .

وقال ابن خلكان : (كان شاعراً ظريفاً حسن السبك ، جميل المقاصد ، وله أشعار حسنة)(٤) .

وقال الشريف الصنعاني : (فاضل شعره كالشذور لذات القرطين) (٥) .

ديوانه :

وقد وجدت مخطوطة ديوان الشاعر في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد ، تحت رقم (٤٦) وهي نسخة ناقصة من أولها وتقع في أربع وعشرين صفحة صغيرة الحجم (٢٠ × ٢٨ سم) وذكر في آخرها اسم كاتبها وهو محمد بن زين المعروف بالحموي وتاريخ الفراغ من نسخها وهو (يوم السبت المبارك تاسع عشرين صفر الخير سنة أربع وثلاثين والف) ، وخطها حسن وأبياتها مضبوطة بالشكل ضبطاً جيداً ، ولم يشر كاتبها إلى النسخة التي نقل منها .

ويبدو ان الشاعر جمع شعره بنفسه فهو يقدم لبعض قصائده بمثل قوله (وهذه قلتها بالأهواز ، وقلت أيضاً ، واجبته ، وقلت في معناه) ، وقد يذكر المناسبة

---

(١) يتيمة الدهر ٢٧/١ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ١٠٤ — ١٠٨ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٥ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٧١ والنجوم الزاهرة ٢٧/٥ .

(٤) وفيات الأعيان ٤٤/٢ .

(٥) نسمة السحر ٤٣١/١ .

التي قال فيها هذه القصيدة أو تلك بمثل قوله : (وكنت نزلت الكوفة وقت مسيري في محلة من محالها تعرف برحا الكذوب فقلت) ، وقوله : (وهذه قطع من المراثي قلتها في بعض من استأثر الله به من صغار الولد) ، وربما شرح احياناً بعض ما يظنه بحاجة إلى تفسير من شعره ، فقد شرح هذا البيت وهو من قصيدة له في رثاء أحد أصدقائه :

وما الكتب والآداب تكسد وحدها بل المرهفات البيض والضمر القب (١)

بقوله : (قال الناظم : لما ورد الكتاب بنعي هذا الرجل الى بغداد نقص في الدفاتر الادبية والعلمية انصاف اثمانها لرغبته فيها وكثرة ما كان يجهز اليه منها وهذا أمر مشهور في وقته لا يختلف فيه) .

وفسر بيتاً آخر من قصيدة أخرى ، وهو :

كأن القصور البيض فيها عشية عذارى جوار في معاجرها الصفر (٢)

بقوله (أردت ما يبقى من شمس الأصائل على رؤوس الحيطان) .

وهو يذكر أحياناً زمن نظمه لبعض قصائده في مثل قوله (وكتبت إلى أخي أبي عبد الله الحسين بن ناصر الدولة وهو ببغداد في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة) وقوله مقدماً لأخرى (ومن شعر الصبا مما قلته بالموصل) وقوله بين يدي ثالثة (وقلت وهي من شعر الحداثة) .

وهو حريص أيضاً على الاشارة إلى الأماكن التي نظم فيها معظم شعره كالأهواز والموصل والكوفة ودمشق .

وربما ذكر ما أعجبه من شعر المتقدمين أو المعاصرين له ثم حاول أن يأتي بمثل معانيهم تلك التي استملحها ، وقد يعجبه المعنى ولا تعجبه الألفاظ

---

(١) القصيدة رقم ٣٣ .

(٢) القصيدة رقم ٣٦ .

(فاستحسنت معناه واستضعفت الفاظه فقلت في معناه) ويقول أيضاً (فأحببت أن يكون هذا المعنى في أجزل من هذه الألفاظ فقلت) .

وربما بلغ به الاعجاب بمعنى من المعاني حداً دفعه إلى اعادة ذلك المعنى والتعبير عنه أكثر من مرة واحدة ، وهو ينبه إلى هذا بمثل قوله (واعدت هذا المعنى فقلت) وقوله (واحببت نقل هذا المعنى إلى وزن آخر فقلت) .

وهو يشير إلى شيوع بعض شعره وشهرته في زمانه ، ثم لا يجد ما يفسر به ذلك غير الحظ الموافق لهذه القصيدة دون تلك (فسارت هذه الأبيات حتى ما أشاء ان اسمعها من أكثر الناس إلا وسمعتها ، والسير حظ من حظوظ الأشعار وسعودها) (١) .

وهذا الشعر الذي جمعه الشاعر نفسه وما معه من شروح واشارات يقع في اثنتين وعشرين صفحة من مخطوطة الديوان ، أما الصفحتان الباقيتان فقد استدرك بهما كاتب الديوان بعض ما نسب إلى الأمير من شعر في الكتب الأخر ، ولعل الأمير قال ذلك الشعر بعد كتابته لديوانه فلم يضفه اليه ، أو لعل الكاتب نقل عن مخطوطة ناقصة أيضاً قد سقط منها هذا الذي استدركه عليها ، وأنا أرجح صحة هذا الافتراض الأخير ، فقد ذكر الثعالبي المتوفى بعد شاعرنا بسنة واحدة فقط ، انه استعار ديوان ذي القرنين من صديق له كان قد كتبه بالشام عن النسخة التي كتبها الأمير بخطه . (٢) ومما يؤيد ذلك ان ابن الزين استدرك على الديوان القصيدة رقم (٤١) وهي مما ذكره الثعالبي مع قصائد أخر رواية عن ابي محمد الشرمقاني عن الجوهري عن الشاعر نفسه .(٣)

ومن جملة ما استدركته أنا على هذا الديوان أربع قصائد (٤) ذكرها الثعالبي

---

(١) انظر القصيدة رقم ١٢ .

(٢) تتمة اليتيمة ١/٥ .

(٣) تتمة اليتيمة ١/٣ .

(٤) القصائد رقم ١ ، ٤ ، ٧ ، ٩ من المستدرك .

في تتمة اليتيمة وقال انه نقلها عن ديوان الشاعر المنقول عن النسخة الشامية التـــي كتبها الأمير بخطه .

ولكاتب الديوان تعليقات على الحواشي يصحح فيها بعض الكلمات التي أخطأ في كتابتها ، أو يثبت عليها بعض ما فاته في المتن ، وقد يشير إلى روايـــة أخرى لبيت من الأبيات غير التي كتب بها .

ضياع شعره :

ولعلها نادرة جداً تلك الدواوين التي كتبها أصحابها بأيديهم وذيلوها بما أرادوا ايضاحه من مبهم قصائدهم أو تواريخها أو مناسباتها وهذا الديوان من جملة تلك الدواوين النادرة ، وهو بما وصل الينا منه وما الحقه به كاتبه وما استدركته عليـــه ، ليس كل شعر الشاعر ، وانما هو جزء منه لا أدري مبلغه من مجموعه .

وانما أعلم يقيناً ان قسماً من شعر الرجل ضاع وفقد ، ضاع بعضه في حيـــاة صاحبه وقد أشار هو صراحة إلى ذلك بقوله (ومن شعر الصبا مما قلته بالموصل وهي قصيدة طويلة ضاع أكثرها وحفظ بعضها) (١) وضاع القسم الآخر بما سقط من أول صفحات الديوان .

ومع ان معظم الشعر الذي اثبته الشاعر لنفسه مقطعات صغيرة الا ان الثعـــالبي يشير إلى وجود قصائد طوال له (وكنت أحسب شعره مقطعات دون القصائد حتى طلع علينا الشيخ أبو بكر علي بن الحسين فاعارني من ديوان شعره ما نقله بالشـــام من خطه وفيه الطوال والقصار ولم يكن رفع إلى خراسان من ذلك غير ما كتبه) (٢)

ولكن الثعالبي رحمه الله لا يكاد يذكر له شيئاً من قصائده الطوال تلك ويبدو انه اختار ما استحسنه من بعضها واعرض عن الباقي وقد اشار إلى ذلك عنـــد ذكره القصيدة الصادية رقم (٤) بقوله (وله من قصيدة) (٣) .

---

(١) انظر القصيدة رقم (٧) .

(٢) تتمة اليتيمة ١/٥ .

(٣) المصدر السابق ١/٦ والقصيدة رقم (٤) من المستدرك .

وقد لا يكون ضياع شعر الشاعر دائماً خسارة جسيمة للأدب وأهله ، فللأمة ان تختار من شعر شعرائها ما تراه جديراً بالحفظ والتسجيل والخلود ، ولها ان تعرض عن الباقي وتهمله . وليست هي ملزمة ان تؤدي الينا جيلا بعد جيل جميع شعر أبنائها من الأندلس إلى خراسان ، لا تخرم منه حرفاً ولا تسقط منه بيتاً ، فاذا أخلّت بشيءٍ من ذلك ثارت ثائرة قوم من الباحثين واتهموا من قبلهم بالعبث والنحل والتساهل في حفظ التراث وصيانته ، وذلك هو التكلف الذي اغنى الله عنه والتشدد فيما رخص به ، وما علمنا أمة ضبطت من تراثها وقيدت من شوارده وشواذه ونبهت إلى ما فقد منه وما بقي ، غير هذه الأمة المباركة .

وليس عبثاً أن تصل الينا دواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي ، كاملة غير منقوصة ، وليس عبثاً الا يصل الينا من دواوين من هم دونهم الا أقلها أو مختارها .

ولو علمت الأمة ان ديوان فلان من الناس كله نفيس مختار لما انقصت منه شيئاً ولكثرت نسخه وكثر كاتبوه ولوصل الينا سليماً لا شية فيه . وكذلك فعلت في دواوين شعرائها الكبار وكذلك اختارت من دواوين غيرهم ما راقها وأعجبها وأهملت ما سواه .

وفي المختار من شعر الشعراء ، غناء للدارس والباحث فهو أحسن شعرهم من جهة ، وهو يعوض عما ضاع في كشفه عن أغراض الشعر وخصائصه من جهة ثانية ، ونحن لا نريد أكثر من ذلك ولا نطمع بالمزيد عليه .

ومجموع ما بين يدي من شعر هذا الشاعر مائتان واثنان وأربعون بيتاً في أربع وخمسين قصيدة ومقطوعة ، ذكر هو منها فيما بقي من ديوانه ثمانياً وثلاثين الحق بها محمد بن زين ستاً واستدركت عليه عشراً لم يذكرها .

وانا أحاول بهذا الشعر الذي بين يدي ، وهو قسم من شعر الرجل كما قلت ، ان أحدد أغراضه وأبين خصائصه .

اغراضه وخصائصه الفنية :

وهو في جملة شعره أمير مترف لم تضطره الحاجة إلى المديح فخلا شعره منه وعصمته مكانته واحترام الناس له وحسن منبته وتربيته مما يظهر في شعر معاصريه من الولع بالهجاء وبذيْ الكلام وتتبع السيئات وقد تجد في بعض شعره عتاباً على اسرته وأهله ولكنه لا يصل إلى الهجاء ولا يقدح في مروءة الشاعر .

وشعره صورة لنفسه وقد وقفه عليها فصور فيه خلجاتها وأحاسيسها وما يضطرب فيها من مشاعر الأمل واليأس والغضب والأنفة . وقد اضطرته حياته إلى التنقل في البلاد بين الأهواز والعراق والشام ومصر ، فكثر من أجل ذلك تشكيه من الغربة وتشوقه إلى الوطن والأهل والصديق . وكثر وصفه نتيجة لهذا لتلك اللحظات العاطفية التي يلتقي فيها بمن يحب عائداً من سفر أو مزمعاً على آخر ، وما يصحب تلك المواقف من الشجون والآلام والدموع والعتاب والنجوى .

وهو في شعره هذا صادق العاطفة بارع التصوير حريص على جزالة اللفظ وجماله .

والوصف والنسيب هما الغرضان الغالبان على شعره الأثيران عنده ، ثم إنك لاتعدم ان تجد له قطعاً حساناً في رثاء بعض اطفاله . وانك لتجد فيها صدق الحزن وحرارة اللوعة ومرارة الثكل . ولكنك تنكر بعدها تلك القصيدة الثقيلة المتكلفة التي قالها في رثاء صديق له من الأدباء وتعجب لكثرة ما فيها من التهويل والمبالغة . وهي قصيدة تبدو غريبة في شعر الرجل ، لا تشف عن نفس صاحبها حتى ليخيل إليك انها لشاعر من شعراء القرون الأولى ، فقد جرى فيها على عادة القدماء في

تساؤلهم السمج عن الفلك الذي لم يكف عن الدوران والارض التي لم تدك والنجوم التي لم تكسف لموت ذلك المرثي وقد مات بموته الجود والكرم والبأس والشجاعة . ولولا ان الرجل أثبت هذه القصيدة لنفسه في ديوانه (١) لأنكرت ان تكون من شعره ولظننتها مما حمل عليه .

أما فخره بنفسه وشاعريته فقليل جداً وهو فيه مقتصدغير مسرف وليس هو كأبي فراس في كثرة فخره وشدة مبالغته وتهويله .

وقد يضطره ما يريده من الفخر بنفسه أحياناً إلى شيْ من الجفاء وغلظة الذوق ، حتى لتكاد تنكره اذا قرأته وتعجب لصدوره عن رجل يظهر لك في جملة شعره دمث الخلق رقيق الحاشية مهذب الطبع ، ومن ذلك مثلا قوله من قصيدة :

فسلي رفاقاً شرفتهم صحبتي من تابع في القوم أو متبوع (٢)

وأنا أريد أن ألفتك إلى قوله (رفاقاً شرفتهم صحبتي) وما أحسبك تراه من الفخر الجميل الذي يصدر عن طبع مهذب وذوق رقيق .

وقوله يفخر بقصيدته تلك الباردة الثقيلة في رثاء صاحبه الأديب :

فدونكها لم يحب اربد مثلها لبيد ولم يقدر على مثلها كعب

عجيبة نظم ليس يدخل ربها اذا عجب الأقوام من حسنها عجب

وما ضرها الا تكون طويلة وفيها لذى لبّ اذا انشدت حسب

وان يفخر الشاعر بشعره في معرض المديح أو الهجاء فذلك أمر ألفناه من شعرائنا وعرفناه ، ولكن الفخر بقصيدة رثاء والمنة بها على المرثي فشيْ ما سمعنا به قبل

---

(١) القصيدة رقم ٣٣ .

(٢) القصيدة رقم ٤ .

(٣) القصيدة رقم ٣٣ .

شاعرنا هذا . وهو يدل على عدم الاحسان في الفخر كما يدل على غلظة في الذوق وجفاء في الخلق .

ومع ان تلك القصيدة في واحد وعشرين بيتاً الا ان الشاعر اعتذر للمرثـي عن قصرها ولعله توهم ان طول القصيدة دليل جودتها وشاهد صدق حزنه على المـرثي . ولا تدري مم تعجب أمن فخره بها أم من اعتذاره عن قصرها .

واذا كنا نجد لأبي فراس شعراً كثيراً يكشف عن عقيدته في التشيع لآل البيت فاننا لا نجد اشارة واحدة إلى هذه العقيدة في شعر ذى القرنين ، ومع ذلك فقـد ترجم له صاحب نسمة السحر والسيد الأمين بين شعراء الشيعة اعتماداً على ما عرف عن اسرته من الميل إلى العلويين والتشيع لهم (وكان آل حمدان على مذهب الأمير ابي الحسن سيف الدولة في التشيع)(١) .

والذين يدرسون شعر ابي فراس يلاحظون دون شك كثرة اشاراته إلى حـوادث التاريخ وشخوصها لا سيما ما اتصل منها بتاريخ تغلب ، وهو مالا نكاد ان نجد مثله في شعر شاعرنا هذا ، غير اشارة واحدة لتغرب امرئ القيس وما جرّته الغربة على المهلهل بن ربيعة سيد تغلب وشاعرها وما اضطرته اليه من تزويج اخته فـي قبيلة صغيرة يقال لها (جنب) ليسوا اكفاءها ولا في منزلتها(٢) .

قال ذو القرنين :

اذل امرأ القيس اغتراب ديـــاره وأنكح أخت التغلبيين في جنب

واني على وجـد ضلوعي تجنــه لأصبر من عود على جلب الجنب(٣)

وفي عجز بيته الثاني إشارة لبيت من الشعر ذهب مثلا وهو قول حلحلة بن قيس :

---

(١) نسمة السحر ٤٣٣/١ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٩٨/١ .

(٣) القصيدة رقم ٣ .

اصبر من عود بجنبيه جلب   قد أثر البطان فيه والحقب(١)

وشاعرنا ممن يلتمسون الصنعة في اشعارهم ويولعون بتحاسين الكلام من التشبيهات والاستعارات وضروب البديع ، واسمعه يصف دمشق لترى معي كلفه بالتشبيه واحسانه فيه :

فهواؤها تحيا النفوس به   وترابها كالمسك في الترب

تجري بها الأمواه فوق حصى   كرضاب ثغر بارد شنب

من كل عين كالمراة صفا   أو جدول كمهند القضب

يشتق أخضر كالسماء له   زهر كمثل الأنجم الشهب

هذا ومن شجر تعطفه   يحكي انعطاف الخرد العرب (٢)

وربما كلف نفسه مشقة الاتيان بأكثر من تشبيه في البيت الواحد، ورأى في ذلك براعة واحسانا وقد سمع تشبيهين للبحتري باللؤلؤ فأراد ان يضيف اليهما تشبيهاً ثالثاً ، فقال :

ورأيت منه مثل لؤلؤ عقده   من ثغره وحديثه ودموعه (٣)

وظن (انه لم يجمع ذاك أحد في شعر) فاذا سمع ان المتنبي سبقه إلى مثل ذلك ، اراد ان يتفوق عليه ، وصنع بيتاً جاء فيه بأربعة تشبيهات وهو قوله :

من درّ لفظ ودرّ دمع   ودرّ ثغر ودرّ عقد (٤)

ورضي عن نفسه واطمأن إلى ما حقق من فوز وسبق ورأى ان بيت المتنبي (كان متعسفاً متكلفاً غير طائل) .

وهو يحب ان يؤكد براعته في هذا الفن من فنون البيان فيأتيك في البيت الواحد

---

(١) مجمع الأمثال ١/٤٠٩ وما تلحن فيه العوام للكسائي ٣٣ .

(٢) القصيدة رقم ١ .

(٣) القصيدة رقم ١٣ .

(٤) القصيدة رقم ١٤ .

بالتشبيه ومقلوبه ، ومن ذلك قوله :

لي دموع كأنهـا من حـديث وحديث كأنه من دموعي (١)

وقوله :

والموت أقرب نـازل فقريبـه كبعيده وبعيـده كقريبه(٢)

وله غير هذه التشبيهات ولع بالاستعارات وشغف بها ، ومن قوله في هذا :

اما ترى الجـو في سـحائبه وبرقـه المستطير في السـحب

يختـال فـي خلعـة ممسـكة قـد طرزتها البروق بالذهب (٣)

وقوله :

فحليت من نظـم الصبابة جيدهـا فريد دموع في عقود عناق (٤)

وهو يلتمس المحسنات اللفظية كما يلتمس المحسنات المعنوية فلا يخلو شعره من فنون البديع المعروفة كالطباق والمقابلة والجناس . فمن ذلك قوله :

ولما اجتمعنـا للتفـرق سـلمت سـلام فراق لا سـلام تلاق (٥)

فطابق بين الاجتماع والتفرق وبين الفراق والتلاق وقولـه :

اذا صـدق التيقظ شـتّ شـملي تولى جمعـه كذب السنات (٦)

فطابق على سبيل المقابلة بين صدق وكذب والتيقظ والسنات ، وشت وجمعه . وقولـه :

هل كـاد يحرقهم ضـرام تنفسي او كاد يغرقهم سـجام دموعي (٧)

فطابق فيه بين يحرقهم ويغرقهم وضرام وسجام . وقولـه :

فتشرق نحو الشـرق بالدمع عينـه ويجري لها غرب على ساكن الغرب (٨)

---

(١) القصيدة رقم ٧ من المستدرك

(٢) القصيدة رقم ٢٩

(٣) القصيدة رقم ٢٧

(٤) القصيدة رقم ٩ من المستدرك

(٥) القصيدة رقم ٩ من المستدرك

(٦) القصيدة رقم ٢

(٧) القصيدة رقم ٤

(٨) القصيدة رقم ٣

فجانس بين تشرق والشرق والغرب الأولى وهي الدموع والغرب الثانية ويعني بها جهة من البلاد ، وطابق بين الشرق والغرب .

ولا يعدم القارئ ان يجد امثلة أخرى لهذه الصناعة في شعره وهو على ولعه بها مقتصد في استخدامها لا يثقل كل شعره بها ولا يدع لها سبيلا لافساده .

وليس الرجل بدعا في هذا وما هو أكثر من غيره ممن تقدموه أو عاصروه شغفاً بهذه المحسنات وعناية بها ، وانك لا تعدم ان تجد من شعره قطعاً حساناً قد لاتجد مثلها في الجودة عند كبار شعراء العربية : كمثل قوله :

ثلاثة منعتها من زيارتنا ... وقد دجا الليل خوف الكاشح الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلي وما ... يفوح من عرق كالعنبر العبق

هب الجبين بفضل الكم تستره ... والحلي تنزعه ماالشأن في العرق (١)

وقوله :

ندامای ان شطت بي الدار عنكم ... بما قدر الرحمن في سابق الحكم

ودارت كؤوس الهم لي بعد فقدكم ... ودارت كؤوس بينكم بابنة الكرم

فاتخلوا مكاناً بين نفسين منكم ... تحيونه عني وتسمونه باسمي

وقولوا لمن غنّاكم فليغن لي ... بصوتي على ماأحدث الدهر من غشمي

كفاك بحق الله ما قد ظلمتني ... فهذا مقام المستجير من الظلم (٢)

وبعد ، فلعل في هذه الدراسة المتواضعة للشاعر وشعره ، ما يكفي للتعريف به واحياء ذكره وقد خمل حتى جهله اكثر الناس وخفي مكانه على كثير من الفضلاء .

وقد حققنا شعره ونبهنا إلى ما ذكر من قصائده في الكتب الأخر وأشرنا إلى اختلاف رواية بعض ابياته مما اغفل الاشارة اليه محمد بن زين ، وشرحنا ما

(١) القصيدة رقم ٨ من المستدرك .

(٢) القصيدة رقم ٦ .

اعتقدنا فيه الغموض والابهام ، والحقنا بالديوان من شعر الشاعر ما لم نجده في ديوانه ونبهنا إلى ما نسب من شعره لغيره ، ووضعنا ملاحظات كاتب الديوان وتعليقاته في اماكنها من حواشي الكتاب .

واني إذ اعتذر عما أكون قد قصرت فيه من عملي هذا لسعيد ان اقدم للمكتبة العربية ديواناً جديداً من قرن تكاد دواوين شعرائه المطبوعة ان تعد على الأصابع .

والله أسأل أن يتم به الفائدة وله الحمد والمنة والفضل جميعاً ، والشكر جزيلا للاساتذة الاجلاء الذين تفضلوا بمساعدتي وفي مقدمتهم الدكتور مهدي المخزومي والاستاذ ابراهيم الوائلي والاستاذ خلدون الوهابي ، والله الموفق لما فيه الخير .

يتبع

محسن غياض عجيل